محمد تمهيدي

الدعوة الإسلامية المعاصرة

obeikan.com

obeikan.com

الدين الحق عقيدة وشريعة ، حقيقة ناصعة واضحة كالشمس فى ضحاها ، والقمر إذا تلاها ، مهامه الكبرى إخراج الخلق من ظلمات الجهالة والإلحاد والإشراك إلى نور المعرفة والإيمان والتوحيد ، دلالة الخلق على الحق ، نشر الفضائل ، وتقليل الرذائل بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن ، وتنظيم الحياة الإنسانية ؛ لأن النصوص الشرعية تتناهى والحوادث والوقائع والمستجدات والمستحدثات والعوارض والطوارئ لا تتناهى ، من هنا فالتناول السليم لفهم الدين أنه للتهذيب وليس للتعذيب ، لإسعاد الإنسان لا لإشقائه ، بآصالة دون انكفاء عليها ، ومعاصرة دون ذوبان فيها فالعقلاء يدركون الفروق بين: الإنفتاح والإنهيار ! ، التطور والذوبان ، التحديث والمحو ، المعاصرة والهيمنة ! .

- الإسلام منهج حياة متوازن لا يميل إلى ناحية على حساب أخرى : عقيدة وشريعة ، علم ومعرفة ، آصالة ومعاصرة ، إصلاح فرد وبناء مجتمع .

- مع هذه المسلمات والبديهات فإن عواراً يصيب بعض الأفهام ، فيحدث التجريف للأصيل ، ويعلوه الدخيل ، ويحصل التحريف للكلم عن مواضعه ، وينشأ الإنحراف الفكرى المسبب للعنف القولى والفعلى باللسان واليد .

- الغلو والتشدد فى فهم الدين ، والتعصب للرأى ، عوامل رئيسة لإيجاد تطرف منسوب إلى الدين ، بالإضافة إلى عوامل أخرى لا تقل أهمية عما ذكر أهمها : وجود تمايز طبقى وظروف اقتصادية واجتماعية وسياسية تحرم كادحين حقوقهم فى العيش الكريم ، وتصاعد أزمات أخلاقية وتدهور قيم فاضلة .

هذه الأمور مجتمعة أو متداخلة أو مبعّضة ، توجد تطرفاً يساء بسببه فهم الدين وبالتالى سوء عرضه ، ومؤدى هذا العنف الفكرى وضرره لا يستهان به ومن مظاهره قذائف التكفير والتشريك والتفسيق والتجهيل ، واحتكار الصواب ، وإدعاء (الفرقة الناجية) والعنف المسلح مما يعرف بالإرهاب والإرعاب .

وتأتى شعارات براقة لإلهاب عواطف عوام وأشباه متعلمين بل ومتعالمين لتجنيد فئات من المجتمعات من عينة (سنة) ، (آل البيت) ، (سلف) ، (الحاكمية) ، (شرع الله) ، (البعث الإسلامى) ، (الوصول إلى الله) ، (الخلافة) شعارات تروجها فرق وطرق وجماعات وتيارات فى الماضى والحاضر بلغت حسب ما قرره صاحب كتاب (تراث الفكر الإسلامى) ١٩٨ فرقة !! .

وهذه الشعارات لها جذور فى صدر الأمة المسلمة حيث (قميص عثمان وأنامل أرملته على منابر مساجد) وصياح « الخوارج » : « الحكم لله وليس لك يا على » ! ، هذه الفرق فى الواقع مجموعة طوائف : العمل السياسى مقصودها ، والدين مطيتها ، والجماهير وقودها ، أما الضحية سمعة الإسلام وجوهر ومقصود رسالته ! ، والنتيجة (غثاء سيل) ، و (غربة الإسلام) !! .

إن المتأمل بحق ، المتدبر بصدق فى الدين الحق : الوسائل والمقاصد ، الوظائف والغايات ، المكونات والمعالم ، يجد أن الإسلام (دين) ، قال الله – عز وجل – ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[١] ، ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[٢] ، وأوجد (أمة) ، قال الله – عز وجل – : ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾[٣] ، ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[٤] ، وأوجد نظماً عقائدية وتشريعية واقتصادية وعسكرية واجتماعية وما يعرف بالسير للعلاقات الخارجية ، وهذه النظم هى جوهر الدين ، وكلها لتنظيم المجتمع ، ووثيقة أو صحيفة أو دستور المدينة عقب الهجرة النبوية موضحة لأسس هذه النظم[٥] .

ولا يمنع الإسلام الحق إنتساب الناس إلى أقوامهم ، فاختلاف الناس فى

(١) الآية ٣ من سورة المائدة .
(٢) الآية ١٩ من سورة آل عمران .
(٣) الآية ١٢٨ من سورة البقرة .
(٤) الآية ١١٠ من سورة آل عمران .
(٥) السيرة لابن هشام

أقوامهم حقيقة واقعة ، ويريد الإسلام قيادة هذا التعدد إلى التعارف والتآلف والتعاون والتعاطف ، قال الله – عز وجل – : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ (١) ، وانتسب نفر من الصحابة – ﷺ – إلى أقومهم فى صدر الإسلام فى المجتمع المسلم منهم : سلمان الفارسى ، صهيب الرومى ، بلال الحبشى ، ماريّة القبطية – ﷺ – ، مما يدل على أن الإسلام لم يأت لإقامة دولة معينة محددة ؛ لأن نظام الحكم فى الإسلام متروك للعرف دون إلزام دينى بنظام معين ، وهذا من واقع الشريعة بنصوص شرعية ، دون اعتداد بإجتهادات فقهية للفرق بين الشريعة بنصوصها المقدسة ، والفقه كفهم بشرى عرضة للصواب والخطأ لهذه الشريعة ، واصطلاحات (الحكم) فى القرآن الكريم والسنة النبوية تدور حول معانى : العدل والقضاء والفصل فى المنازعات من حيث أنه حكم بين الناس وليس عليهم ، فالحكم هو القضاء الإسلامى الذى ينفذه المجتمع بمؤسساته العلمية والقضائية والتنفيذية بولى أمر ليس شرطاً أن يكون دينياً ؛ لأن الدولة من الشئوون الاجتماعية وليست من الشئوون الدينية البحتة ، ومن براهين هذا اختلاف الصحابة – ﷺ – فى اسم وصفة الخليفة من جهة ، وتنوع وصول الخلفاء الراشدين – ﷺ – إلى الإمامة الكبرى ، ونظم الحكم الوراثى بالملك العضوض لدى الأمويين والملك المتغلب لدى العباسيين والأتراك ، ولو كان هناك نص ملزم للحكم السياسى ما وجد هذا الخلاف والتنوع والتعدد ، بما يدل على أن نظام الخلافة عمل دعوى لحراسة الدعوة ورعاية شئوون المجتمع لا لأعمال سياسية ؛ وأن الإجتهاد العقلى البشرى هو أساس هذا الحكم المدنى وبالتالى فإن القول إعادة (الخلافة) تسويق لشعارات جماعات وفرق سياسية تتاجر بها مع إدراكها حالياً الاستحالة الاجتماعية والسياسية – الداخلية والخارجية – لها ، ولعدم الحاجة الفعلية لها ، والخلافة

(١) الآية ١٣ من سورة الحجرات .

الراشدة لا ننكرها إلا أنها وجدت لضرورات ومقتضيات تخالف عصرنا .

تيارات معاصرة شهيرة

بالاستقراء فى الواقع والحقبة التاريخية المعاصرة فإن تيارات لمجموعات منسوبة إلى الدين أهمها وأشهرها :

١) **جماعات « السلفية »** : والصواب « متسلفة » ؛ لأن اصطلاح السلفية لا وجود له مطلقاً فى القرآن الكريم ولا فى السنة النبوية الصحيحة قال الله – عز وجل – : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [١] ، فالصحيح (سابقون) و (تابعون) ، وحقبة السابقين انتهت بعصر (اتباع التابعين) ، وسيتم فصل القول فى بحث يخصها [٢] .

وهم يرون التربية الدينية المذهبية السبيل لإقامة مجتمع مسلم ، ويبتعدون فى فصائلها (الدعوية والحركية) عن مناوئة السلطات الحاكمة بخلاف (الجهادية) التى تتبنى الخروج على الحاكم وتكفيره ومخالفيهم .

٢) **الإخوان المسلمون** : تنظيم سياسى يسعى لاحتواء الدين وإن كان قد اخفى أغراضه من الاستيلاء على السلطة والاحتفاظ بها بواسطة الجماهير أو سبل العنف المسلح [٣] .

٣) **جماعة التكفير والهجرة** : ترى أن المجتمع جاهلى كافر ويجب أن تعزل نفسها عنه فى مواجهته مع أسلوب الجهاد ضد المجتمع الكافر .

٤) **تنظيم الجهاد** : يرى أن قتال المجتمعات الجاهلية الكافرة السبيل لإقامة

---

(١) الآية ١٠٠ من سورة التوبة .

(٢) راجع كتبى (السلفية بين الأصيل والدخيل) و(سلفية مدعاة)، (متسلفة لا سلفية) .

(٣) الإخوان المسلمون والعمل السياسى دراسة تاريخية د. محمود متولى طـ ١ سنة ١٩٨٩.م .

الدولة الإسلامية [١] .

٥) **جماعة الدعوة والتبليغ** : تقوم بأعمال دعوية فى العبادات ومكارم الأخلاق وسط تجمعات جماهيرية

٦) **الشيعة الإمامية** : مذهب سياسى يبث الانتصار لآل البيت – ﷺ – وله أدبيات سياسية ، ومبادئ فقهية وعقائدية ، مقابل مذهب (أهل السنة والجماعة)

وهذه الإتجاهات لها تأثر وتأثير ، وممارسات وتوجهات ، وآثار وأهداف ، وكيانات وقواد وأتباع ، وداخلها شبكات ، وينتج عنها فصائل وتشكيلات .

وهذه التيارات لها أدبياتها ومرجعياتها وملامحها منها المعروف ومنها الغامض! ، إلا أن مضارها الاجتماعية ، وآثارها السلبية على الدين ، وتعارضها وتناقضها فيما بينها تؤكد حقيقة أنها امتداد لفكر « الخوارج » وفى ثنايا البحث والضمائم (الملاحق) تتضح الصورة كاملة لذى بصر وبصيرة ! .

فرق المسلمين

المفهوم : الفِرق لغة : جمع فرقة ، وهى : الطائفة من الناس [٢] .

الفِرق اصطلاحاً : اسم اطلق على الفرق المنتسبة إلى الإسلام والتى ظهرت بعد الصدر الأول من المسلمين [٣] .

الحكم التكليفى : أمر الشارع الحكيم اتباع الإسلام بالتآلف والتكاتف والمحبة والوحدة فى نصوص عديدة منها قول الله – سبحانه وتعالى – ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ [٤] ، وحذرهم من الفرقة والشحناء والبغضاء ﴿ وَلَا

(١) تكوين وتنظيم الحركات الأصولية الإسلامية لواء دكتور شرطة م / حسين عبد السميع شرف ، الإسلام السياسى فى مصر من حركة الإصلاح إلى جماعات العنف د. هالة مصطفى .
(٢) لسان العرب .
(٣) الموسوعة الفقهية الكويتية ٣٢/ ١٠٥ .
(٤) الآية ١٠٣ من سورة آل عمران .

تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [1] .

ومما ينبه عليه وينوه به : أن النهى والذم لمن خالف فى أصول مكونات الإسلام الرئيسة مثل : أصل التوحيد ، تقدير الخير والشر شروط النبوة والرسالة ، وهذا المعنى لفهم حديث افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة [2] .

وما عليه جمهور الفقهاء أنه لا يُكفّر أحد من أهل القبلة إلا من أنكر منهم أمراً معلوماً من الدين بالضرورة [3] .

(١) الآية ١٠٥ من سورة آل عمران .

(٢) سنن أبى داود ٥/ ٢ .

(٣) حاشية ابن عابدين ١/ ٣٧٧ ، شرح الزرقانى ٨/ ٦٣ وما بعدها ، مغنى المحتاج ٤/ ٤٣٤ ، مطالب أولى النهى ٦/ ٢٨١ .

obeikan.com